رشاد ابو شاور

مربعات فلسطينية

من يدري كم ؟
فالجثث
المنثورة لم تجمع
بعد
لم تحص وتعد (١)
ـ هذا جنون .. هذا جنون ، شيء لا يصدق .

كان وجه مندوب الصليب الاحمر قد استحال الى رخام ابيض من الرعب والخوف (٢) « اندفع الجميع الى مدخل الممر .. وابتعدوا عن الباب .. وثجاة امام القاعدة (رقم ٢) على بعد عشرة امتار من الباب ، اخترقت الرصاصة صـــدر احد سائقي الصليب الاحمر فصرخ ... » (٣) .

تم التقاط ـ بواسطة اجهزة اللاسلكي التي اخذت من الدبابات المحترقة ـ رقم القذائف التي سقطت على الوحدات في الفترة ما بين الثانية والرابعة عصرا : ثمانية آلاف وخمسماية قذيفة (٤) .

والجثث المنثورة ؟
ـ من يدري كم ؟

القتلة

رغم ان القتال دخل اليوم الثالث .. فما زال في الاثداء حليب وفي العروق دم . لقد بدا الجوع والظما حربهما .. ولكن مع ذلك ..

عندما تمكنوا من اقتحام احد البيوت التي تقع في أحد اطراف المدينة عند مولد كهربائي .. فانهم قد قفزوا عن الجدران وانتشروا بين الشجر المحيط بالمـــكان .. ثم انهم راوا امراة تقف امام الباب الخارجي للبيت ، وامامها رجل وطفل : جثتان ممددتان .. دمهمـــا يبس على ملابسهما ومن جسديهما تنبعث رائحة كريهة ثقيلة ...

صرخ احدهم : وتبكين ايضا ايتها الـ ... خذي . وغـاصت حربة بندقيته في نهاية بطنها .. فتشنجت ملامحها ، واحتبس الالم صرختها في حنجرتها .. ومرة اخرى طعن : تحت الثـــدي .. فتهدل الثدي مع خروج الحربة التي علق بها بعض فتات اللحم والعظـــام الدقيقة والحليب الذي جمد في الثدي بعد ان لم يرضعه الطفل ..

ثم انهم واصلوا هجومهم بعد أن لفوا كوفياتهم حول انوفهـــم كي لا تتسرب رائحة الموتى الى صدورهم .. ومضوا وامامهم حرابهـم المشهـــرة ..

الحيـــة

قال حسنين الاعور ، وهو رجل يناهز الخمسين ، قصير القامة، خبيث بعض الشيء ، خاصة مـــع رجال الشرطة ومخاتير المخيـــم ووجهائه ـ وكان يحدث صاحبه ، وهو صاحبـــه من ايام البلاد ـ عبد الرحمن الشلوح :

ـ يا قرابة .. يا عيني .

هنا ضحك الشلوح فعرف حسنين ان الشلوح يضحك مـــن عينه العوراء .

فخرج عن الحديث قليلا ، وكان قد اسند ظهره الى الجـــدار الطيني المدهون بطلاء ابيض جيري .

ـ انت ابتضحك لاني باقولك يا عيني .. انا الي عين واحدة عشان هيك هالعين اغلى علي من كل شيء في هالدنيا ما عدا شرفي .. عيني الخربانة مش عيني .. اي نعم .. والله ما هي عيني ..

وكان الشلوح قد ابتلع ضحكته وتظاهر بانه يتثاءب ، قال :

ـ حاشى لله ان اضحك منك ..

لف حسنين سيكارة هيشي واشعلها بعود كبريت ، ثم وضـــع العود المشتعل امام عينه السليمة ، ونفخ عليه ببطء الدخان الـــذي كان قد ابتلعه في فمه وحنجرته ، قال :

ـ ليش ابتعتب على الناس .. عيب .. احنا حطينا الحية في عبنا .. واللي بيحط الحيـــة في عبه بدو يذوق الويل من نابهـــا أو سمهـــا ..

قـال الشلوح :

ـ اي والله عيب .. اللي بيحط الحيـــة في عبه يستاهل

---

(١) من قصيدة « تهليلة الموت والشهادة » لتوفيق زياد .
(٢) من كتيب « قصة مستشفى الاشرفية » للدكتور محجوب .
(٣) نفس المصدر .
(٤) نفس المصدر .

ابراهيم برهوم

بشارة منتصف الليل

قطعت نصف الليل .
وها أنا أعدّ شعبي الكبير
نجمة فنجمة .
قطعت نصف الليل
ممتلئا بشارة
أحج نحو الصبح .

أشيائي التي مضت
قد ثبّتت في القلب
شكلها الريشي .
لكنني بلفتـــة
أزيحها
أدق فوق الارض ،
ناظريّ للامام .

وانني آتيك
ساعدا مجروحة
ومهجة تمزقت بطول الحزن .
وشامخا
ممتلئا بشارة
قطعت نصف الليل .

* * *

سيّان ،
يذهبون للنسيان .
يسمعون قلبهم في الدقة الاخيرة .
لكنما
تمرّ في الهواء
ـ كفيمة ـ جلالة الاشياء
يحسونها ولا يعون .

« سيّان »
ليس مثل شيخ
وليس مثل طفـل تمّحي من صدره
الاحزان
« سيّان » مثل سيف .

وهادئا
يمرّ في الحقول صوتهم
للموت .
والموت نحو الصبح .

* * *

ها أنت قد ودعتهم
ولا ينوء في مسار الضوء حزن .
جامدة عيونهم
وهذه عيناك .
ها أنت تسمع الخبر
وعندما يجنّ نصف الليل
تعدّهم في القلب نجمتين
وفي سلالك التي وعدتها الاطفال
قمحتين .

* * *

ببهجة أعدّ هذا الحزن
وكلما يزيد واحدا أقول
قد قلّ واحد
بلفتة
أشيائي التي مضت
أزيحها .

* * *

دقيقة دقيقة ،
وحينما أطل من شقوق ظلمتي
الى مكان القلب
يشدّني اتساع حدقتي طفل
براءة في الخبز
سلاسل من الاشياء عند كفّتي أم .

دقيقة دقيقة .
وواحدا فواحدا
يمرّ شعبي الفريب
في خيالهم خيال بيت .

ابراهيم برهوم

المـــوت ..

ثم انهما ظلا صامتين يفكران في مشاكل هذه الدنيا .

الصحراء

ـ روح يمه .. الله يسهـــل عليك .. ان شاء الله انشوف وجهك على خير .. روح الهي يجعلها قدامك بيضا ووراك بيضا ..

وضعت تحت ابطي الزوادة التي لفتهـــا لي أمي في قميص عتيق خلفه والدي ـ رحمة الله على روحه ـ . كانت والدتي قـــد قالت لي : ستظل ريحة زوادة أمك وملابس ابوك اتشدك .. ومسيرها اتخيلك ترجع وما تنسى .

ـ وين يا شب .. امسافر ؟

تلفت الى الرجل بنظرة فيها تحفز واحتراس :

ـ نعم امسافر .. ليش ابتسال ؟

ـ لاني شغلتي اوصل المسافرين للمطارح اللي بدهم اياها .. باختصار انا شفير .

تطلعت اليه لاتاكد من انه لا يخفي شخصية محتال وراء ادعائه. انه رجل قصير ناصح الجسم ، هادىء الملامح .. لا يبدو عليه انـــه سائق سيارة ، ولكن مع ذلك فيه شيء عجيب ..

وجدتني أسأله ولم أكن قد قررت السفر معه بعد :

ـ وين الركاب اللي معك ؟

تهلل وجهه وفرك يديه وقال بسرعة وثقة :

ـ جاهزين .. هيهم في القهوة .. اذا ناوي على السفر خليني اناديهم ونتكل على الله ..

ثم انهم اتكلوا على الله .. ومشت السيارة بهدوء ومهابة فـي البداية ثم انطلقت بسرعة جنونية .

قال : نسينا ان نحضر برميـــل الماء .. الحرارة ارتفعت .. مش ممكن تستمر .. الله يلعن السرعة .

قالت الفتاة : ما العمل ؟

قال السائق : اوكمان البنزين ما بيكفي ايوصلنا كم كيلومتر .. يعني اتورطنا .. وفي الصحراء ما حد بتعرف على حد .. اللهـــم اسالك يا نفسي ..

بلا وعي صرخت : يعني هيك ؟

ـ اخرس .. خلينا انفكر احنا والاخ السائق .. هو من دمك ولحمك ما راح يتخلى عنك .

قال السائق : يا اخ لازم ننتظر هنا في السيارة حتى انروح ونرجـع ..

انتظر كم ساعة بس .. الصحراء من كل جانب .. راحـــوا وخلوني هنا وحدي .. اخذت اتشمم رائحة القميص والزوادة ولكن الليل جاء .. وامتلا قلبي بالرهبة والاحساس بالوحدة .

دمشق